

تفسير البحر المحيط

@ 307 % (بكرت عليه غدوة فرأيته % .

قعوداً عليه بالصريم عواذله .

%) .

{ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ } : الظاهر أنه من صرام النحل . قيل : ويحتمل أن يريد : إن كنتم أهل عزم وإقدام على رأيكم ، من قولك : سيف صارم . { يَتَخَفْتُونَ } : يخفون كلامهم خوفاً من أن يشعر بهم المساكين . { أَنْ لَّا يَدْخُلَنَّهُمْ } : أي يتخافتون بهذا الكلام وهو لا يدخلنها ، وأن مصدرية ، ويجوز أن تكون تفسيرية . وقرأ عبد الله وابن أبي عتبة : لا يدخلنها ، بإسقاط أن على إضمار يقولون ، أو على إجراء يتخافتون مجرى القول ، إذ معناه : يسارون القول والنهي عن الدخول . نهى عن التمكين منه ، أي لا تمكنوهم من الدخول فيدخلوا . { وَغَدَوْا عَلَى عَدَائِهِمْ قَادِرِينَ } : أي على قصد وقدوة في أنفسهم ، يظنون أنهم تمكنوا من مرادهم . قال معناه ابن عباس ، أي قاصدين إلى جنتهم بسرعة ، قادرين عند أنفسهم على صرامها . قال أبو عبيدة والقتبي : { عَدَائِهِمْ } : على منع ، أي قادرين في أنفسهم على منع المساكين من خيرها ، فجزاهم الله بأن منعهم خيراً . وقال الحسن : { عَدَائِهِمْ } ، أي حجة وفاقه . وقال السدي وسفيان : { عَدَائِهِمْ } : على غضب ، أي لم يقدرُوا إلا على حنق وغضب بعضهم على بعض . وقيل : { عَدَائِهِمْ } : على انفراد ، أي انفردوا دون المساكين . وقال الأزهري : حرد اسم قريتهم . وقال السدي : اسم جنتهم ، أي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم ، أو مقدرين أن يتم لهم مرادهم من الصرام . قيل : ويحتمل أن يكون من التقدير بمعنى التضييق لقوله تعالى : { وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ } ، أي مضيقين على المساكين ، إذ حرمهم ما كان أبوهم ينيلهم منها . .

{ فَلَمَّا رَأَوْهَا } : أي على الحالة التي كانوا غدوها عليها ، من هلاكها وذهاب ما فيها من الخير ، { فَالْوَاوُ إِذَا لَمْ يَلْحَقُوا } : أي عن الطريق إليها ، قاله قتادة . وذلك في أول وصولهم أنكروا أنها هي ، واعتقدوا أنهم أخطأوا الطريق إليها ، ثم وضح لهم أنها هي ، وأنه أصابها من عذاب الله ما أذهب خيرها . وقيل : لصالون عن الصواب في غدونا على نية منع المساكين ، فقالوا : { بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ } : أي بخيانتنا على أنفسنا . { قَالَ أَوْسَطُهُمْ } : أي أفضلهم وأرجحهم عقلاً ، { أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ

لَوْ لَا تَسْبِيحٌ وَوَبَّخَهُمْ عَلَى تَرْكِهِمْ مَا حَضَمَ عَلَيْهِ مِنْ تَسْبِيحِ اللَّهِ ، أَي ذَكَرَهُ
وَتَنْزِيهِهِ عَنِ السُّوءِ ، وَلَوْ ذَكَرُوا اللَّهَ وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ لَامْتَثَلُوا مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ مَوَاسَاةِ الْمَسَاكِينِ
وَاقْتَفَاوَا سُنَّةَ أَبِيهِمْ فِي ذَلِكَ . فَلَمَّا غَفَلُوا عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَزَمُوا عَلَى مَنَعَ الْمَسَاكِينِ ،
ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَوْسَطَهُمْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ وَحَرَضَهُمْ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى . وَقَالَ
مُجَاهِدٌ وَأَبُو صَالِحٍ : كَانَ اسْتِثْنَاؤُهُمْ سَبْحَانَ اللَّهِ . قَالَ النَّحَّاسُ : جَعَلَ مُجَاهِدُ التَّسْبِيحَ مَوْضِعَ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى تَنْزِيهِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ . وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : لِالتَّفَاقُهِمَا فِي
مَعْنَى التَّعْظِيمِ ، لِأَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ تَفْوِيضَ إِلَيْهِ ، وَالتَّسْبِيحَ تَنْزِيهَ لَهُ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ التَّفْوِيضِ
وَالتَّنْزِيهِ تَعْظِيمَ لَهُ . وَقِيلَ : { لَوْ لَا تَسْبِيحٌ وَوَبَّخَهُمْ } : تَسْتَغْفِرُونَ .

وَلَمَّا انبَهَرُوا ، رَجَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَاعْتَرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالظُّلْمِ ، وَبَادَرُوا إِلَى
تَسْبِيحِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالُوا : { سُبْحَانَ رَبِّنَا } . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَي نَسْتَغْفِرُكَ مِنْ ذُنُوبِنَا
. وَلَمَّا أَقْرَبُوا بِظُلْمِهِمْ ، لَامَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا ، وَجَعَلَ اللُّومَ فِي حَيْزِ غَيْرِهِ ، إِذْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ زَيْنَ
، وَمِنْهُمْ مَنْ قَبَلَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَمَرَ بِالْكَفِّ ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَصَى الْأَمْرَ . وَمِنْهُمْ مَنْ سَكَتَ عَلَى رِضَا مِنْهُ
. ثُمَّ اعْتَرَفُوا بِأَنَّهُمْ طَغَوْا ، وَتَرَجَّوْا انْتِظَارَ الْفَرَجِ فِي أَنْ يَبْدِلَهُمْ خَيْرًا مِنْ تِلْكَ الْجَنَّةِ ، {
عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَ لَنَا خَيْرًا} : أَي بِهَذِهِ الْجَنَّةِ ، { خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا } : وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ
فِي الْكَهْفِ ، وَالْخَلَافَ فِي تَخْفِيفِ يَبْدِلُنَا ، وَتَثْقِيلِهَا مَنْسُوبًا إِلَى الْقِرَاءِ . { إِنْ زَلَّكَ إِلَى
رَبِّنَا رَاغِبُونَ } : أَي طَالِبُونَ إِصَالَ الْخَيْرِ إِلَيْنَا مِنْهُ . وَالظَّاهِرُ أَنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الْجَنَّةِ
كَانُوا مُؤْمِنِينَ أَصَابُوا مَعْصِيَةَ وَتَابُوا . وَقِيلَ : كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
مَسْعُودٍ : بَلَّغَنِي أَنَّ الْقَوْمَ دَعَاوُا اللَّهَ وَأَخْلَصُوا ، وَعَلِمَ اللَّهُ مِنْهُمْ الصَّدَقَ فَأَبْدَلَهُمْ بِهَا جَنَّةً ، وَكُلُّ
عَنْقُودٍ مِنْهَا كَالرَّجْلِ الْأَسْوَدِ الْقَائِمِ . وَعَنْ مُجَاهِدٍ : تَابُوا فَأَبْدُوا خَيْرًا مِنْهَا . وَقَالَ الْقَشِيرِيُّ
: الْمَعْظَمُ يَقُولُونَ أَنَّهُمْ تَابُوا